

مقياس النقد السييائي

منطلقات السييائية عند بولس

السنة الثالثة - دراسات نقدية -



«لم يكن بوسعي أن أدرس أي شيء
سواء تعلق الأمر بالرياضيات أو الأخلاق
أو الميتافيزيقا أو الجاذبية أو الديناميكية
الحرارية أو علم البصريات أو الكيمياء
أو علم التشريح المقارن أو علم الفلك،
أو علم النفس أو علم الصوتية أو
الاقتصاد أو تاريخ العلوم وكذا الويست
والرجال والنساء والخمر والميتولوجيا
إلا من زاوية نظر سيميائية»

تشارلز ساندرز بورس Charles Sanders Peirce
(1914-1839)

حياة بورس وجهوده

تشارلز ساندرز بورس (1839-1914) مؤسس السيميائيات الحديثة، فيلسوف وعالم منطق وفلك ورياضيات وكيمياء وجيولوجيا أمريكي، أبوه كان عالم فلك ورياضيات، عانى من نوبات العصاب في آخر حياته، عمل بالمسح الساحلي والأرضي وأرسل إلى أوروبا لمراقبة الكسوف، ووظف في مرصد هارفارد الفلكي، بدأ يهمل وظيفته ويهتم بجهوده الفكرية الفلسفية الخاصة فاستقال من منصبه، وفي سنة 1879 عين محاضرا في المنطق في جامعة جونز هوبكينز، جلب معه من أوروبا مكتبة كاملة في المنطق تحوي 295 كتابا ثم اضطر لبيعها في آخر حياته بـ 550 دولار ليستجيب لبعض حاجاته.

قضى آخر حياته يعاني الجوع والمرض والفقر
والحرمان والوحدة، كان صعب المزاج، عرف بتعاليه
عن المجتمع وعن الأساتذة وعن الطلبة الذين
درسهم، أفكاره صعبة وغير مرتبة ومنسقة، لهذا
فشل في الحفاظ على وظائفه وعلى أصدقائه وحتى
على زوجته الأولى، من تخصصاته الغربية «تذوق
الخمير»، يطلق عليه «أب البراغماتية أو
العملائية»، يرى أن المنطق هو الفرع الأساسي
للسيموطيقا، نُشرت جهوده بعد وفاته في 8 مجلدات
سميت «بحوث مجموعة» (collected papers).

مفهوم السيميوطيقا عند بورس

هو علم يدرس العلامات في كل مناحي الحياة، ويُعنى بوصف آليات إنتاج الدلالة داخل موضوع ثقافي ما، سواء كانت هذه العلامة لغوية أو غير لغوية، والسيميوطيقا ربطها بورس بالمنطق، فهي علم يشمل جميع العلوم الإنسانية والطبيعية.

فصل دي سوسير المرجع الخارجي عن بنية العلامة باعتبارها معطى غير لغوي، بينما السيميوطيقا عند بورس تنطلق من فكرة امتداد العلامات وسيرورتها (السيميوزيس) وهو ما يجعل الكون كله نسقا واحدا.

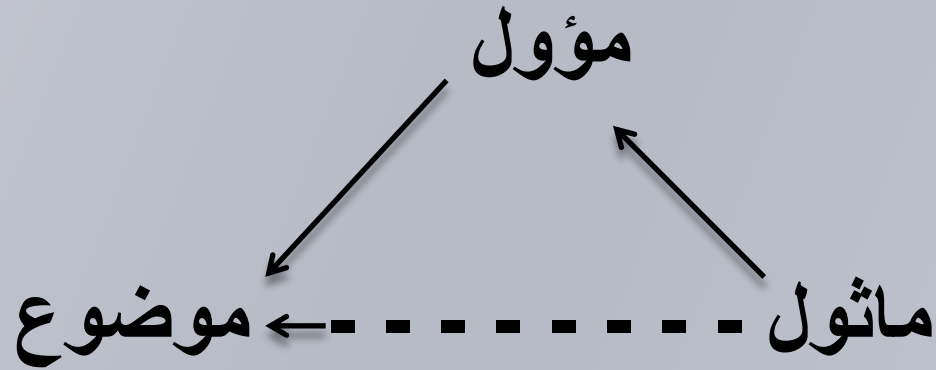
العلامة عند بورس

العلامة هي الوجه الآخر لآليات الإدراك، فالسيميائية لا تتفصل عن عملية الإدراك، فلا شيء يفلت من سلطان العلامة، ولا وجود لشيء يخلق حرا طليقا لا تحكمه حدود ولا يحد من نزواته نسق، فالكون في تصور بورس يمثل أمانا باعتباره شبكة غير محدودة من العلامات، فكل شيء يشتغل كعلامة، ويدل باعتباره علامة ويدرك بصفته علامة أيضا، والعلامة ثلاثة عناصر: ماثول (représentâmes) يحيل إلى موضوع (objet) عبر مؤول (interprétant)، وهذه الإحالات يسميها بورس بالسميوز، أي النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها، فالعلامة تدرك عبر ثلاثة مستويات: ما يحضر في العيان، وما يحضر في الأذهان، وما يتجلى لنا عن طريق اللسان.

إذا كان سوسير يُصر على استبعاد المرجع باعتباره معطى غير لساني، فإن بورس يرى أن الكون بكل مكوناته نسق واحد لا تتفصم أجزاؤه، وما يشكل هذا الكون ليس أشياء مادية بل علامات، إننا نحيا داخل كون رمزي، وكلما ازداد النشاط الرمزي كلما تراجع الواقع. السيميائية عند دي سوسير تؤدي وظيفة اجتماعية بينما عند بورس وظيفتها منطقية وفلسفية.

هذا التوزيع الثلاثي للعلامة ليس مجرد إضافة عنصر ثالث يعتبر غائبا في تصور سوسير، بل هو تصور نظري يجعل التجربة الإنسانية جسما عاما يغطيه غلاف سميك من العلامات يتحدد داخله الإنسان بأفعاله ومعتقداته وشكوكه ويقينه كعلامات يحيل بعضها على بعض داخل نسق شاسع يوضح نفسه بنفسه.

كل عنصر من العناصر الثلاثة للعلامة قادر على أن يشتغل كعلامة جديدة. العلامة تدرك من خلال مستويين: معرفة مباشرة تحيلنا إلى موضوع مباشر، ومعرفة غير مباشرة تحيلنا إلى موضوع ديناميكي وعبر مؤول ديناميكي.



ومثال ذلك الشجرة بين من يعرفها ويدركها وبين من لم يراها قط في حياته هنا نحتاج إلى أن تمدّه بفكر وبتجربة إدراكية.

أنواع العلامة عند بورس

ميز بورس بين ثلاثة أنواع من العلامات هي:

(1) **الرمز Symbole**: هو المعادل الحقيقي للعلامة عند دي سوسير، وعلاقة الرمز بمدلوله اعتباطية. ومثال ذلك الرموز اللغوية، وأضواء المرور.

(2) **الأيقون Icon**: العلاقة بين الدال ومدلوله علاقة مشابهة كلية أو جزئية، وهناك من يسميها العلامة المشهدية، (من العلامات غير اللغوية: لوحات ارشادات المرور كصورة الجمل - التمثال - الصليب - الخرائط - صور الكتب - الصور الشمسية ...، ومن العلامات اللغوية ألفاظ المحاكاة لما في الطبيعة من أصوات: بط - عصفور - صرصر...).

(3) **مثل القرينة Index**: علاقة الدال بمدلوله علاقة سبب بنتيجة، فالدخان قرينة دالة على وجود النار. (السحاب قرينة - علامات الأمراض في الطب قرائن - التحقيق - احمرار الوجه...، ومن العلامات اللغوية: ألفاظ الضجر ك أف، والتعجب ك وي ...).

مقولات بورس

لوجود ثلاثة أنماط: وجود الإمكان النوعي، ووجود الواقعة الفعلية، ووجود القانون الذي سيحكم هذه الوقائع مستقبلا، فنحن ننظر إلى الكون من ثلاث زوايا.

❖ **المقولة الأولى:** الأولانية أو الوجود النوعي الموضوعي، ونعني بها الكائن فلسفيا، وتتعلق بعالم الأحاسيس، فالعالم يمثل أمامنا في مرحلة أولى على شكل أحاسيس مفصولة عن أي سياق زمني أو مكاني، وتسمى هذه المحطة عالم الممكنات، فلا شيء يوحى إلى تحقق معطيات هذه العلامة في البدء، لكن أي شيء في الكون يترك انطبعا حسيا في النفس سماه بورس النوعية الأصلية (العنصر الأحادي للكون)، فهي حالة تشبه أحاسيس كالفرح والحزن والألوان كالأحمر، معزولة عن الإطار الزمكاني، ومثال ذلك نطقك لكلمة (شجرة) لطفل عمره 4 سنوات، والذي ترسم في ذهنه أصوات تحيله إلى دلالة ممكنة غير محددة.

❖ **المقولة الثانية:** الثانية، وهي تخص عالم الفرد، فالمقولة الأولى تُعنى بالظواهر في إمكانية تحققها، وفي تفصلها عن الوجود العيني، بينما المقولة الثانية تعني الواقعة والوجود، فهي مقولة هنا والآن، وجود الشيء في زمن ومكان معينين، فهي تحول اللاحسي واللامحدد إلى حقائق مجسدة داخل حقل التجربة الإنسانية، ومثال ذلك أن نُريَ ذلك الطفل شجرةً فيتحدد عنده أن ذلك اللفظ خاص بهذا الشيء فقط.

❖ **المقولة الثالثة:** الثالثة، وتتعلق بعالم الفكر ونشاطه، إذا نتجاوز مرحلة الأحاسيس الصوتية إلى عالم الدلالات المفردة لنربط بينها في عملية استقراء وتعميم لكل العناصر المماثلة للواقعة، فيُدرك ذلك الطفل أن كلمة (شجرة) لكل جذع له جذور وأغصان وأوراق وثمار، وليس فقط لتلك الشجرة التي رآها معزولة عن بقية الأشجار.

مستويات التدليل عند بورس

ميز بورس بين ثلاثة مستويات دلالية وهي:

✓ **مستوى دلالي أول:** وهو المؤول المباشر، ووظيفته الأساسية هي إعطاء نقطة الانطلاق للدلالة، وإدخال الماثول داخل سيرورة السميوز.

✓ **- مستوى دلالي ثان:** وفيه نستحضر معطيات معرفية ليست معطاة بشكل مباشر مع العلامة، وهو مستوى ثان يقوم المؤول الديناميكي بتنشيطه، على أنقاض المؤول المباشر، ومنه ينطلق التأويل نحو آفاق جديدة تضع الدلالة داخل سيرورة اللامتناهي

✓ **المستوى الدلالي الثالث:** وهو مستوى يقترح على الذات المؤولة خاتمة تأويلية تمنحها الراحة والاطمئنان، فهو مؤول نهائي وظيفته الوقوف في وجه القوة التأويلية المدمرة التي يطلق عنانها المؤول الديناميكي، وهذا المؤول النهائي يصبح نقطة انطلاق لسيرورة جديدة من الإحالات وهكذا.